إشكالية تحليل النص الأدبي لدى الطالب الجامعي- نماذج مختارة -

The problematic of the literary texts' analysis for university students: practical selected samples.

د. علية بيبية

جامعة العربي التبسي- تبسة

oulaya.bibia@univ-tebessa.dz

تاريخ الاستلام: 2021/05/25 تاريخ القبول: 2021/08/22 تاريخ النشر: 2022/09/30

ملخص:

يعاني الطالب الجامعي المتخصص في حقل اللغة والأدب من عدم القدرة على امتلاك طريقة سليمة لتحليل النص الأدبي، سواء أكان شعرا أم نثرا، ويأتي ذلك تبعا لتعدد المناهج وآليات المقاربات، فكل نص يفرض منهجا أو مقاربة تتوازى مع مضمونه سواء أكان ذلك في مجالات الأسلوبية أم التداولية أم البنيوية.

ونسعى من خلال هذه الدراسة إلى بيان هذه الإشكالية، مع ذكر طريقة التحليل حسب كل منهج، ويستلزم ذلك تبيان العناصر الأساسية الواجب ذكرها أثناء التحليل، ومن ثم تطبيقها على النص الأدبي للكشف عن أغواره، وقد اخترنا في هذا السياق نماذج نصية (شعرية ونثرية) ليتسنى للطالب متابعة الفروق في التحليل بين أنواع النصوص، وكشف الستار عن مضامينها.

كلمات مفتاحية: نص أدبي، تداولية، أسلوب، بنية، الطالب، إشكالية.

Abstract: Students specialized in linguistic and literary studies at university complain that they do not acquire the accurate method for analyzing literary texts. That is explained by the multiplicity of methods and approaches, moreover each text requires a specific method that must convey its content at the stylistic, pragmatic and structural levels. The aim of this study is to treat this problematic and to define the analysis proposed by each method, this requires us to precise all necessary elements for the literary text analysis. For that, our corpus is about prose and poems, thus the student can define differences by analyzing different texts.

Keywords: literary text, pragmatic, style, structure, student, problematic.

1. مقدمة:

كثيرا ما يتساءل الطالب عن الطريقة التي يحلل بها النص الأدبي نظرا لاختلاف المناهج والمقاربات وتنوع النصوص وتصنيفها ،الأمر الذي أدى بنا إلى التطرق إلى هذا الموضوع وذلك بالوقوف على مفاهيم النص التي من خلالها نحدد المنهج المتبع للتحليل.

والهدف من هذه الدراسة هو تعليم الطالب والأخذ بيده إلى ممارسة الآليات الإجرائية والتمكن من معرفة مناهج التحليل والفروق بينها.

2. مفهوم النص:

لقد أدى انتقال التحليل اللغوي من الجملة إلى النص اختلافا معرفيا حول مفهوم النص،وعلى أي أساس يعتمد هذا المفهوم هل يعتمد على أساس أن النص بنية متراصة أم على تفاعل النصوص مع بعضها البعض ،أم على علاقة النص بالسياق الاجتماعي ،وعلى هذا الأساس فقد أثار مصطلح النص إشكالات عدة في الدراسات اللغوية والنقدية فكل يعرفه انطلاقا من توجهاته المعرفية الأمر الذي جعل البحث النصي يتشعب من خلفية إلى أخرى ومن اتجاه إلى آخر.

وينبغي التمييز في إرساء مفاهيم للنص على مستويات ثلاث" الأول هو تعريفه بوصفه كلمة عربية ويعتمد هذا المستوى على أقدم الاستعمالات المنقولة إلينا في معاجم اللغة والثاني بوصفه مصطلحا عربيا أي كلمة ذات مدلول معرفي في علم من العلوم ،والثالث تعريفه في اللسانيات الحديثة المختصة بدراسة الكيانات اللغوية وحدها ويلحق هذا المستوى الثالث تعريف النص في علم السيمياء من حيث هو علم عام للعلامات لغوية كانت أم غير لغوية "[1]

1.2 مفهوم النص لغة:

لقد تعددت المعاني اللغوية لمادة "ن ص ص" بتعدد السياقات فهي تدل على أقصى الشيء وغايه ومنه نص الناقة أي استخرج أقصى سيرها ،ودلالة النص الإظهار

،وقد استخدمت لفظة النص في علم الحديث بمعنى الإسناد والتوقيف والتعيين، وفي ذلك يقول ابن منظور:" النص رفعك الشيء، نص الحديث ينصه نصا رفعه وكل ما أظهر فهو نص "[2].

فالنص في معناه اللغوي قائم على فكرة الرفع والإظهار وبلوغ أقصى الشيء ومنتهاه.

2.2 **مفهوم النص اصطلاحا:**

لقد أولى علماء الأصول عناية بهذا المصطلح كونه يتصل اتصالا وثيقا بالكتاب والسنة والنص كما عرفه الشافعي "ما أتى الكتاب على غاية البيان فيه فلم يحتج مع التنزيل فيه إلى غيره وهو ما لا يحتمل إلا معنى واحدا "[3]. ويعرفه الشريف الجرجاني بأنه :"ما ازداد وضوحا على الظاهر لمعنى في المتكلم وهو سوق الكلام لأجل ذلك المعنى "[4]

فالنص حسب هذا التعريف قائم على الوضوح والكشف عن المعنى المراد من قصد المتكلم.

أما في الفكر اللغوي الحديث فقد اختلفت المناهج وتعددت في تعريف النصوص وبنائها فاتخذت مسارات عدة نذكر منها ما يلي:

-الاتجاه البنيوي: يرى هذا الاتجاه ضرورة قطع النص عن مبدعه ومن سياقاته التاريخية والاجتماعية والنفسية ويركزون على البنية النصية نفسها ويتعاملون مع النص على أنه نسيج محكم مغلق بعيد كل البعد عن المرجعيات والسياقات الثقافية ،ومن هؤلاء تودوروف الذي يرى أن النص "قد يتطابق مع جملة ،كما أنه قد يتطابق مع كتاب بأكمله وهو يعرف باستقلاله وانغلاقه "[5]،أما لوتمان فينطلق في تعريف النص على أساس أنه خاصية التعبير والخاصية البنيوية"[6]

ويرى برينكر بأن النص "تتابع متماسك من علامات لغوية أو مركبات من علامات لغوية لا تدخل تحت أية وحدة لغوية أخرى أشمل ،فالنص بنية كبرى تحتوي على وحدات صغرى متماسكة ليست جملا ،وإنما أجزاء متوالية "[7].

فهذه التعريفات البنيوية للنص تشير إلى أن كل نص مستقل بذاته تشكل علاقات منظمة ،وإذا اختل جزء من هذه الوحدات اختل نظام النص كله ،فالمفردة داخل النص ليس لها تفسير خارج بناء النص.

-الاتجاه السيميائي:

يمثل النص عند السيميائيين تعالقا وإنتاجا مع النصوص الأخرى ويشكل النص "مجموعة يؤلفها الخطاب الحكاية والعلاقات القائمة بين هذين الموضوعين المحددين كطبقات دلالية مستقلة نسبيا وقابلة بدورها إلى أن تتنضد في أصعدة متعددة "[8]

كما أن النص ليس بنية مكتوبة فحسب بل يشمل الإشارات والرموز باعتبارها علامات غير لغوية ،وأهم تعريفات النص عند السيميائيين تعريف جوليا كرستيفا حيث ترى أن النص هو " جهاز لغوي يعيد توزيع نظام اللغة بكشف العلاقة بين الكلمات التواصلية مشيرا إلى بيانات مباشرة تربطها بأنماط مختلفة من الأقوال السابقة والمتزامنة معها"[9].وهذا يعني أن النص يقوم على مبدأين:

أ-أن علاقته باللسان الذي يتموقع داخله هي علاقة إعادة توزيع (صادمة بناءة) ولذلك فهو قابل للتناول عبر المقولات المنطقية لا عبر المقولات اللسانية الخالصة .

ب-أنه ترحال للنصوص وتداخل نصي ففي فضاء نص معين تتقاطع وتتنافى ملفوظات عديدة مقتطعة من نصوص أخرى"[10]

-الاتجاه اللغوي النصي:

يمثل هذا الاتجاه توفان فانديك الذي أرسى مبادئ النحو النصي مركزا على القضايا الدلالية والتداولية فهو يطرح سؤالا :ما النص ؟وكيف نحلله ؟ ليصل بعد ذلك إلى أن النصوص لا تملك فقط بنى قاعدية على مستويات مختلفة وأصوات كلمات ،بناء

الجملة المعنى" ولكنها أيضا تملك بنى أخرى مثل البنى العليا والبنى الأسلوبية التي هي في عدد من مستويات النص مسؤولة عن التعبير وعن البنية الإضافية "

ويرى فانديك أن بناء النص يتأسس على العناصر التداولية والدلالية وهما يشكلان الإطار الموسع لنحو النص وهذا الأخير لا يكمن في قواعد وقيود صارمة وإنما تتمثل في مجموعة من القوانين الاختيارية التي يفرضها النص والتي استخلصت منه.

أي أن فانديك وهو يصف النص يركز فيه "على المقابلة بين مفهومي التركيب الأدنى والتركيب العلوي، فالنص عنده هو وحدة كلية تتضافر فيها الأبنية والتراكيب إضافة إلى العناصر الدلالية المستمدة من النحو التوليدي كمعيار الحذف والإضافة والترتيب ،إضافة إلى عامل السياق القائم على أساس التواصل بين مرسل النص ومتلقيه والمرجعيات الاجتماعية والنفسية المحيطة به"[11]

3. مفهوم التحليل:

التحليل مصدر حلل تحليلا ،جاء في لسان العرب "حل العقدة يحلها حلا فتحها ونقضها فانحلت والحل: حل العقدة "[12]

أما اصطلاحا فهو تفكيك النص أو الخطاب وحله إلى وحداته التي ساهمت في بنائه الشكلي ودلالته للتعرف على وظيفة كل عنصر منها في الخطاب وأثرها فيه لاستنباط أسراره ومقاصده ".[13]

أما عند مفسري الخطاب والنصوص المكتوبة فيعبر به عن توضيح مضامين النصوص والكشف عن المراد منها"[14]

من خلال هذه التعاريف يتبين لنا أن التحليل كمصطلح في حقل الدراسات الأدبية يعني فك شفرات النص وبيان الغرض منه ودلالته من حيث الشكل والمضمون وهذه الوظيفة يقوم بها القارئ الذي يختلف من محلل لغوي وناقد وغيره.

والهدف من تحليل الخطاب هو إعطاء وصف صريح ومنظم للوحدة اللغوية المدروسة وهذا من خلال النص والسياق، كما تهدف إلى وصف بنية النص أو الخطاب في ضوء

مستويات الخطاب اللغوية الصوت والبنية والتركيب والدلالة وتهدف دراسة السياق إلى ربط تفسير البنية التركيبية بالنص وبالمقام الخارجي وخصائصه الإدراكية والاجتماعية والثقافية "[15]

وتبعا لذلك يتساءل الطالب الجامعي حين يعرض له نص للتحليل عن الطريقة المثلى وعن الآليات التي يوظفها في تحليل هذا النص وذلك مع تعدد المناهج والمقاربات ،والأهم من ذلك الانطلاقة الأولى التي تنبني على كشف البنيات الرئيسية وصولا إلى الممارسة النقدية التي تشمل مضامين النص .

ولذلك سنعرض في هذا الشأن أهم آليات مفاتيح التحليل النصي التي ننطلق منها للكشف عن خبايا النص ومكنوناته.

1.3 التحليل البنيوي النصي:

ومنطلقه النص ذاته بعيدا عن المرجعيات الخارجية الأخرى وينطلق كذلك من البنية ،فما هي البنية ؟وما أثرها في تحليل النص ؟ وكيف نحلل النص بنيويا ؟

لقد تبلور التصور البنيوي مع اللغوي فرديناند دوسوسير من خلال دروسه في اللسانيات العامة التي نشرت سنة 1916 مما جعل هذه النزعة تمتد إلى مدارس واتجاهات لغوية ونقدية ساهمت في الكشف عن بنية النص.

يعرف جون ليونز البنية بأنها :"نسق من العلاقات أو مجموعة من الأنساق يرتبط بعضها ببعض ،وحيث أن العناصر من أصوات وكلمات ليس لها أية قيمة باستقلالها عن علاقات التكافؤ والتقابل التي تربط بعضها ببعض "[16]

ويعطي الدكتور صلاح فضل تعريفا أشمل للبنية فيقول بأنها "ترجمة لمجموعة من العلاقات بين عناصر مختلفة أو عمليات أولية على شرط أن يصل الباحث إلى تحديد خصائص المجموعة والعلاقات القائمة فيما بينها من وجهة نظر معينة ومع ذلك فمن الملاحظ أنه كلما اجتمعت بعض العناصر في كل ما نجمت عنها أبنية يتسم تركيبها بالاطراد ،هذا الكل هو ما يسمى بالنظام وظاهرة تركيب النظام طبقا لنوع من الاطراد هي التنظيم وتعتبر فكرة العلاقة صائبة على مستوى الأبنية ،ولكنها عندما تدخل في التنظيم

تكتسب عنصرا جديدا هو الاتصال، فالبنية تتميز بالعلاقات والتنظيم بالتواصل بين عناصره المختلفة وعلاقة التواصل هي الوظيفة التي تقوم بها العناصر في النظام وطبقا لهذا فإن التحليل البنائي يبحث عن مجموعة العناصر وعلاقاتها المتشابكة ،أما التحليل الوظيفي فهو يهدف إلى اكتشاف عمليات التواصل داخل النظام نفسه"[17]

من خلال هذا المفهوم يتبين لنا أن البنيوية تختص بمميزات أهمها:

-العلاقة الوطيدة بينها وبين موضوع اللسانيات الذي يدرس اللغة لذاتها ولأجل ذاتها فحينما نحلل نصا تحليلا بنيويا فالتركيز يكون على اللغة التي هي نظام من العلامات المبنية على أساس شمولي كلي.

-تكمن العلاقات البنيوية في تتابع الجمل بعضها مع بعض والتي تترابط فيما بينها بواسطة الروابط والإحالات ونخص بالذكر الإحالات النصية التي تساهم في ترابط الجمل وفهمها على حد قول فاينريش في تعريفه للنص بأنه تكوين حتمي أجزاؤه ثابتة بمعنى أنه كلية مترابطة الأجزاء تتابع فيها الجمل وفق نظام وتسهم كل جملة في فهم ما تليها كما تسهم المتقدمة في فهم المتأخرة بحيث يتحقق المعنى من خلال معاني الأجزاء وتآزرها في بنية كلية كبرى".[18]

-يعد التواصل العنصر الأساس في العلاقات البنيوية لأن الفكرة الجوهرية فيها "ليس عزل النص وعده الحقيقة المطلقة الوحيدة ،بل جوهرها هو تفسير العلاقة بين العناصر اللغوية انطلاقا من علاقاتها بالنظام أي علاقتها بالقوانين التي تواضع عليها أفراد المجتمع وعلى هذا الأساس تعنى البنيوية بوصف الظواهر اللغوية من حيث هي أنساق تابعة لقوانين النظام من دون كبير التفات إلى العناصر الأخرى من خارج النظام كالمقام والعوامل الفيزيائية والحيوية التي قد يكون لها بالغ الأثر في ممارسة اللغة ".[19]

ونضرب مثالا تطبيقيا لهذه الخصائص التي تتصف بها البنيوية وبين أيدينا نص نثري وهو قصة ذات طابع رمزي للكاتبة ربيعة برباق عنوانها "تفاصيل مهمة " تقول فيها:

"ما إن رفع الستار وبدأ المشهد حتى رحل حائرا صامتا فاتصلت به تغير مفاهيمها ،قال ماذا تفعلين ؟قالت أحاول أن أستعيد الذاكرة لأستكمل أحداث المشهد المبتور بسيف الزمن لأرسم نصف اللوحة الذي لم تره حين أطفأت الأنوار كي لا أراك تغادر،

قال ارسمي ابتسامات تقهر المسافات وتغير قوانين الزمن. قالت :لأرسم ابتسامة أحتاج منك ألوانا جريئة ،وردية كحلمي، زرقاء كبحرك ،بيضاء كقلبي، حمراء كوردك، صفراء كشمسي ، ألوانا واثقة كحرفي. قال تركت لك الرمادي على تلك الطاولة قالت الرمادي لا يلائمني تعودت ألوانا تشبهني واضحة إلى حد الغموض ،صادقة إلى حد الكذب ولكنك اخترت النظر في الحرف الأخير من الجملة فضاعت منك تفاصيل مهمة "[20]

إن التحليل البنيوي الذي يسعى الطالب المتخصص في اللغة والأدب أن يتتبع مساره التطبيقي في هذه القصة مثلا أن يركز على أمور عدة أهمها :

-بنية القصة ويتم التركيز فيها على نظام اللغة القائم فيها ،فالقصة ليست مجرد أقوال متناثرة هنا وهناك بل تحكمها عناصر لغوية منتظمة تقوم على أساس الرصف.

-تفاعل المستويات والمقصود بها مستويات التحليل اللغوي التي أقرتها اللسانيات البنيوية وعلى أساسها يمكن استثمار مبادئها في التحليل وتتمثل في البنى الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية " ولهذه المستويات مراتبها التي تحدد علاقاتها فيما بينها ،فلكل مستوى وحداته وعلاقاته مما يضطرنا لوصفه على حدة بالرغم من أنه لا يمكن لأي منها أن ينتج بمفرده فكل وحدة في مستوى ما تكتسب معناها عندما تندرج في مستوى أعلى "[21]

انظر مثلا المقاطع الصوتية المشكلة للقصة في الفقرة الأولى "الستار ،حائرا، صامتا، ماذا تفعلين ....فهذه المقاطع هي جزء من بنية هذا النظام اللغوي لأن هذه المقاطع الصوتية لا يمكن تحليلها بمعزل عن التركيب ولا يمكن عدها أصواتا مفردة إلا إذا ارتبطت بجملة حينها يصبح لها معناها المحدد داخل نظام العلاقات ،وعلى الطالب هنا أن يبين وظيفة الأصوات في هذا النظام، والأمر نفسه بالنسبة للعلاقات بين الجمل حيث يبين فيها مواضع الإسناد والإحالات النصية التي تربط بين هذه الجمل ويبين ذلك صلاح فضل في قوله :"لكي نصف حكاية قصة ما ينبغي أن نعد ملخصا لها يوجز كل حدث في عبارة مركزة تتكون من مسند ومسند إليه أو من موضوع ومحمول وسنجد أن الحد الأدنى لأي قضية يتمثل في الانتقال من حالة توازن إلى أخرى بطريقة ينجم عنها

فقدان التوازن المبدئي ،ثم لا تلبث أن تأتي قوة ثالثة في اتجاه معاكس لتعيد التوازن مرة أخرى ويلاحظ أن حالة التوازن الثانية قد تشبه الأولى لكنها تختلف جذريا عنها "

كما يركز الطالب أيضا على وسائل الاتساق التي تساهم في ربط النص كالربط المعجمي والربط النحوي أنظر مثلا قول الكاتبة :"قالت لأرسم ابتسامة أحتاج منك ألوانا جريئة وردة كحلمي زرقاء كبحرك ...."فالملاحظ تكرار ركنا الإسناد قال ،قالت وهما يربطان الحدث الأول بالحدث الثاني أو الموضوع الأول بالثاني ،إضافة إلى توالي الصفات التي تحقق الترابط بين أجزاء القصة .

2.3 التحليل الأسلوبي:

إن ما يميز التحليل البنيوي عن الأسلوبي هو جمالية اللغة لأن الأسلوبية تعدت في تأسيسها مرحلة الوصف والتفسير الذي تبنته البنيوية إلى الكشف عن الطاقة التعبيرية التي تتميز بها اللغة وذلك بالخروج من عالم الافتراض إلى حيز الوجود الجمالي القائم على المفارقات والانزياحات والعدول عن الصيغ المألوفة وعلى هذا الأساس يمكننا تعريف الأسلوبية باعتبار علاقتها بالبعد اللساني بأنها "العلاقة الرابطة بين حدث التعبير ومدلول محتوى صياغته ونعني بدراسة مجال التصرف في حدود القواعد البنيوية لا نظام جهاز اللغة وينتهي إلى تحديد الخصائص اللغوية التي بها يتحول الخطاب من سياقه الإخباري إلى وظيفته التأثيرية الجمالية ".[22]

فالأسلوبية لم تقو على مغادرة دائرة اللسانيات وظلت فرعا من فروعها شأنها في ذلك شأن باقي الأنظمة الأخرى وقد كان مصدرها ثنائية اللغة والكلام باعتبار أن اللغة موجودة في كل دماغ والكلام متفرد موجود عند كل فرد ،وهذا ما أدى بشارل بالي بأن ينظر إلى الأسلوب بأنه "مجموعة من عناصر اللغة المؤثرة عاطفيا على المستمع والقارئ ويحصر مفهومه في تفجير الطاقات التعبيرية الكامنة في اللغة بخروجها من عالمها الافتراضي إلى حيز الوجود اللغوي ومعدن الأسلوب ما يقوم في اللغة من وسائل تعبيرية تبرز المفارقات العاطفية والإرادية والجمالية وحتى الاجتماعية والنفسية ".[23]

وعلى هذا الأساس يتطرق الطالب وهو يحلل نصا ويدرسه دراسة أسلوبية عن الآليات التي يجب أن يتبعها ليكشف عن جماليات لغة النص وحتى يصل إلى هذا الهدف يجب أن يتبع الخطوات الآتية :

-الانطلاق من البنى اللغوية لأي نص وهي البنى الصوتية والصرفية والتركيبية ،ويبين مواطن الجمال فيها وكيف تحقق هذه المستويات الوظيفة الجمالية والوظيفة التأثيرية للقارئ.

-لابد في دراسة للإيحاءات من العناية بجذور الصياغة الشكلية المسؤولة عن الأوضاع الاديولوجية والعاطفية التي تطبع أسلوب الكاتب بطابع خاص مميز لنصه الأدبي ،فالتعدد الدلالي الناتج عن الإيحاءات يتسع بقدر ما يرتبط بخاصية أخرى من خواص اللغة الأدبية الجوهرية هي اللبس المتمثل في التعقيد المقصود للعالم المصور في النص الأدبي".[24]

-توظيف المنهج الإحصائي في الكشف عن جماليات اللغة في النص وهذا يزيد من قوة التأثير لدى المتلقي.

ونضرب مثالا على هذه الخطوات بنص تطبيقي نبحث من خلاله على العلامات اللغوية الفارقة التي تميزه عن اللغة العادية ومدى تأثيره على نفسية القارئ المتلقي، وبين أيدينا مقطوعة شعرية لأبي القاسم الشابي من قصيدة إرادة الحياة يقول فيها :

إذا الشعب يوما أراد الحياة فلابد أن يستجيب القدر
ولابد لليل أن ينجلي ولابد لليل أن ينكسر
ومن لم يعانقه شوق الحياة تبخر في جوها واندثر
فويل لمن لم تسعه الحياة من صفعة العدم المنتصر
كذلك قالت لي الكائنات وحدثني روحها المستتر.[25]

فالقارئ المحلل لهذا النص والكاشف له يحاول أن يدرس الخصائص الأسلوبية التي تعبر عن اهتمامات الكاتب وتكشف عن نظرته العاطفية والجمالية .

وأول منحى أسلوبي يحقق هذه الجمالية هو الأسلوبية الصوتية التي تعد الصوت اللغوي وظيفة جمالية "فالمادة الصوتية تنضوي على إمكانات تعبيرية هائلة ،فالأصوات والتوافق التعبيري المتمثل في التنغيم والإيقاع والكثافة الصوتية المتصاعدة أو الهابطة والتكرار القائم على التردد كل ذلك يتضمن طاقة تعبيرية كبيرة ".[26]

فعلى سبيل المثال فقد طغى صوت القاف ذو الصدى القوي على المقطوعة والذي يحمل شحنات عاطفية تدل على القوة والغلبة والانتصار، كما أن المقاطع الصوتية الطويلة التي تعبر عن نفس الشاعر العميق وإرادته القوية في الحياة .وفي الوقت نفسه تهدف في استعمالها إلى الكشف عن مزاج الشاعر وإحداث أثر على السامع.

أما المنحى الأسلوبي الآخر فهو الأسلوبية الصرفية وهي الأخرى متعلقة بالقدرات التعبيرية الكامنة في الكلمة الواحدة "ويعمل هذا النوع على فحص الكلمة المفردة من جهة الصياغة والاشتقاق وتطرح الكلمة المفردة بمستوياتها الصوتية والصرفية والدلالية عاطفة أو فكرة "[27]، لذلك فإننا نجد المقطوعة الشعرية تحوي مزيجا من الأسماء والأفعال التي تتمازج منها بين حركة وثبات حتى تصل إلى المبتغى والهدف المراد وهو عدم الخضوع لأي مذلة وهوان ،فالمبدع يحاول أن يشارك القارئ هذا التحدي وهذا التفاعل ويجعله ينغمس في عالمه المليء بالعزيمة .

أما المنحى الآخر الذي يركز الطالب عليه هو الأسلوبية النحوية وفيه حديث عن مكونات الجمل وبنية الجمل والأساليب النحوية التي ينضوي عليها النص ولا يغفل الطالب عن أنماط الانزياح التي تحدد الصور الشعرية والاستعمالات المجازية للغة النص ويتم ذلك "بتصنيف الانزياحات متموضعة في سياق النص كالاستعارة التي تعد انزياحا موضعيا عن النظام اللساني أو بوصفها انزياحات تشتمل النص الأدبي في عمومه بالتكرار الذي يمكن تحديد درجة انزياحه طبقا لعمليات إحصائية "[28]

3-3التحليل التداولي:

يعد الاشتغال على التداولية باعتبارها منهجا لسانيا تواصليا من أهم القضايا التي تثير اهتمام الطالب من أجل تحليل النصوص والكشف عنها وعادة ما تعتمد التداولية على مباحث عديدة كالإقناع والحجاج وأفعال الكلام والإشاريات.

والأمر الملفت للانتباه في هذا الشأن أن التداولية هي علم استعمال اللغة وهي تضافر بين علم العلامات ومستعمليها ،لذلك فإن أي نص يعرض علينا للتحليل يطلب منا تحليله وفق المقاربة التداولية فما المقصود بها ؟ وما هي الآليات التي يجب اتباعها لتحقيق هذا الهدف.

لقد كان تأسيس التداولية ضمن مجموعة من العلوم كاللسانيات والسيمياء والفلسفة وعلم النفس المعرفي وعلم الإقناع وغيرها وكانت أفعال الكلام المنطلق الأساس في التداولية ومنشؤها الفلسفة التحليلية ،وقد ظهرت التداولية نتيجة أبحاث فلسفة اللغة والمنطق الرمزي التي قدمها أقطاب مدرسة فيينا حول الدلالة والعلاقات الكلامية والمعنى والمرجع والسياق وصارت هذه الأبحاث أرضية خصبة لانطلاق نظريات لسانية تداولية تفاعلت مع مفاهيم بيرس وطورها شارل موريس فظهرت معالم المنهج التداولي العام للعلامات".[29]

فكل هذا الارتباط الوثيق بهذه العلوم جعل مصطلح التداولية على درجة من الغموض فكل يفسرها بمفهوم تبعا لمرجعيته الفكرية.

ويتفق الكثير من علماء اللغة بأن التداولية هي استعمال للغة وعلى هذا الأساس فقد عرفت كما يلي:

-هي مجموعة من البحوث المنطقية اللسانية وهي كذلك الدراسة التي تعنى باستعمال اللغة وتهتم بقضية التلاؤم بين التعابير الرمزية والسياقات المرجعية والمقامية

-هي دراسة تهتم باللغة في الخطاب وتنظر في الوسميات الخاصة به قصد تأكيد طابعه الخطابي.

-وهي دراسة للغة بوصفها ظاهرة خطابية وتواصلية واجتماعية في نفس الوقت.

-هي الدراسة أو التخصص الذي يندرج ضمن اللسانيات ويهتم أكثر باستعمال اللغة في التواصل".[30]

من خلال هذه المفاهيم يتبين لنا أن التداولية هي دراسة استعمال اللغة في المواقف المختلفة سواء أتعلق الأمر بالنصوص المدونة أو الخطابات المباشرة والمحادثات

أو الكلام اليومي .كما أن التداولية مرتبطة ارتباطا كبيرا باللسانيات ومرد اهتمامها بدراسة علاقة النشاط اللغوي بمستعمليه وطرق وكيفيات استخدام العلامات اللغوية بنجاح والسياقات والطبقات المقامية المختلفة التي ينجز فيها الخطاب والحث عن العوامل التي تجعل الخطاب رسالة تواصلية واضحة وناجحة ،كما تتداخل التداولية مع علوم أخرى كعلم الدلالة الذي يهتم بتفسير المعنى وعلاقة الرموز بمفسريها ،وعلم اللغة الاجتماعي وعلم اللغة النصي الذي يهتم بالظروف النفسية التي تحيط بالحدث الكلامي.

ولمعرفة تفاصيل أكثر عن طريقة التحليل التداولي أو المقاربة التداولية اخترنا نصا نحاول أن نبين فيه آلياتها الإجرائية التي من شأنها ان توجه الطالب نحو كشف النص ومقاربته تداوليا.

"حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وزهير بن حرب جميعا عن ابن علية قال زهير حدثنا اسماعيل بن ابراهيم عن أبي حيان عن أبي زرعة بن عمر بن جرير عن أبي هريرة قال:" كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بارزا للناس فأتاه رجل فقال :يا رسول الله ما الإيمان ؟قال « أن تؤمن بالله وملائكته وكتابه ولقائه ورسله وتؤمن بالبعث الآخر»قال :يا رسول الله ما الإسلام؟ قال: «الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان» قال يا رسول الله ما الإحسان؟ قال :«أن تعبد الله كأنك تراه فإنك إن لا تراه فإنه يراك» .قال :يا رسول الله متى الساعة ؟قال :«ما المسؤول عنها بأعلم من السائل ولكن سأحدثك عن أشراطها إذا ولدت الأمة ربها فذاك من أشراطها وإذا كانت العراة الحفاة رؤوس الناس فذاك من أشراطها وإذا تطاول رعاء البهم في البنيان فذاك من أشراطها في خمس لا يعلمهن إلا الله» ثم تلا صلى الله عليه وسلم إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ "لقمان آ 34 ،قال: ثم أدبر الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم«ردوا علي الرجل» فأخذوا ليردوا فلم يروا شيئا فقال رسول الله :"هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم" أخرجه البخاري[31]

وإذا طلب منا مقاربة تداولية لهذا الحديث الشريف فعلينا اتباع الخطوات الآتية:

-دراسة الحديث في علاقته بالسياق التواصلي معنى ذلك أنه يركز على أطراف العملية الاتصالية من مرسل ومرسل إليه ورسالة وذلك لأن التداولية-كما سلف الذكر- تعنى باستعمال اللغة باعتبارها مظهرا خطابيا.

فهذا الحديث هو خطاب موجه عن النبي صلى الله عليه وسلم إلى المسلمين عامة وفحوى الرسالة هي بيان معالم الإيمان وركائزه التي يبنى عليها ،وهو يحمل أبعادا حوارية في التواصل والبعد الحواري يقتضي أن يبلغ أو يقنع بوجود الآخر "ولا يكون هذا الآخر فقط مستقبلا أو سامعا محايدا ،بل يكون فاعلا أي سائلا ومجيبا في الآن نفسه ،فالقول المقدم من طرف المتكلم هو موجه نحو مستمع هو نفسه يحمل تساؤلات في ذهنه وحين يستقبل القول تتفاعل تساؤلاته مع تساؤلات وإجابات المتكلم"

-التركيز على آليات الحجاج واستكشاف العلاقات المنطقية الحجاجية وذلك باعتبار أن المرسل يستعمل كل إمكانات الإقناع اللغوية والحجج المنطقية من أجل توصيل الفكرة واستمالة المتلقي وغرس الفكرة في ذهنه وتوجيهه إلى مسارات متعددة تؤدي نتيجة واحدة وهذه النتيجة قائمة على التمثيل والاستدلال.

وفي هذا الحديث نجد كثيرا من آليات الإقناع والحجاج ،وقد قام على حجج منطقية استدلالية يتصدرها صيغة الاستفهام الناتجة عن سؤال مركزي موجه وهو "ما الإيمان؟" وتندرج تحته حجج تتضمن التعريف بكل قضية من القضايا المدرجة ألا وهي الإسلام والإحسان والساعة .

إضافة إلى آلية التكرار التي ارتكزت في الحوار الذي دار بين الرجل والرسول صلى الله عليه وسلم والتي جاءت بصيغ الاستفهام والغرض منه هو ترسيخ الفكرة لدى المتلقي ليدرك هذه الركائز التي تشكل الإيمان.

ولا يغفل الحديث عن أدوات الربط الحجاجية مثل روابط العطف التي تدل على التتابع وتوالي تلك الأفعال الدالة على الحركة والروابط المؤكدة مثل "إن" و"كأنك" وغيرها.

-التركيز على أفعال الكلام أو أفعال اللغة وذلك من حيث إنجازها وهي أساسا تنطلق من مسلمة مفادها " أن الأقوال الصادرة ضمن وضعيات محددة تتحول إلى أفعال ذات أبعاد اجتماعية ،وتطرح الأفعال الكلامية السؤال الآتي :هل يمكن أن ينجز الفعل طوع إرادتنا؟ وهل ننوي أن ننجز الفعل حقا ؟[32]

والحديث النبوي الذي بين أيدينا يعج بالأفعال المتنوعة لأن الفعل هو منطلق أساس في نظرية الأفعال الكلامية " وأول ما يمكن ملاحظته هو الحضور المكثف للأفعال بأنواعها الثلاثة الماضي والمضارع والأمر مما يدل على خاصية التحول والصيرورة والتغيير والحركة التي يضفيها الفعل على البنية اللغوية لهذا الحدث مما يجعله فضاء خصبا تلتقي فيه النظرية الحجاجية بنظرية أفعال الكلام التي تركز على الفعل باعتباره استراتجية إقناعية حاضرة في كل خطاب بل إن حضوره بديهي لإسهامه بنسب عالية في مسار النصوص وتكوين الخطابات لأنه ركن أساس في عملية الإسناد وبناء الجمل."[33]

والملاحظ أن هذا التنوع أدى إلى تضافر الأفعال الكلامية وقدرتها الإنجازية وما ينجر عنها من تقريريات و حكميات وتأكيديات وغيرها.

ولا يغفل المحلل أو الطالب من التطرق والكشف عن الإشاريات والإحالات التي تحدد مسار الخطاب سواء كانت إشارات شخصية أو زمانية أو مكانية .

4. خاتمة:

من خلال التطرق إلى أنواع من التحليل الذي تكشف على النص والتي على الطالب أن يفرق بين هذه الأنواع نخلص إلى مجموعة من النتائج أهمها:

-تختلف أنواع النصوص تبعا لبنيتها سواء أكانت شعرا أم نثرا .

- إن ما يميز التحليل البنيوي هو الكشف عن بنية النص والعلاقات المترابطة التي تشكله وما يجعله متماسكا هو الروابط والإحالات

-يستمد التحليل الأسلوبي المبادئ اللسانية من علم اللسانيات وتركز على مستويات التحليل اللغوي إضافة إلى كشف جماليات هذه الوحدات اللغوية وما تحمله من شحنات عاطفية .

-يركز التحليل التداولي على السياق الداخلي والخارجي للنص في مقام تواصلي معين قائم على آليات الإقناع و تفاعل أفعال اللغة.

5. قائمة الإحالات:

[1]رزيق بوزغاية :ورقات في لسانيات النص،مؤسسة المثقف ،باتنة الجزائر،ط1 ،2018 ص 53

[2] ابن منظور:لسان العرب ،مادة (نص ص)

[3]محمد بن ادريس الشافعي:الرسالة ،تح أحمد شاكر ،دط ،دت ص 32

[4]الشريف الجرجاني:التعريفات،مكتبة لبنان،ط1 ،2000 ،ص 260

[5]عثمان أبو زنيد:نحو النص،عالم الكتب الحديث،الأردن ،ط1 ،2010 ،ص13

[6]ينظر جمعان عبد الكريم :إشكالات النص ،النادي الأدبي الرياض ط1 ،2009 ص 29

[7]أحمد عفيفي:نحو النص ص 27

[8]جمعان عبد الكريم:إشكالات النص ص 29

[9]أحمد عفيفي:نحو النص ص 28

[10]ينظر جمعان عبد الكريم :إشكالات النص 29

[11]علية بيبية:السياق والتحليل النصي ،مجلة علوم اللغة ،جامعة حمة لخضر الوادي،مجلد 12 عدد 1 ص 691

[12]ابن منظور:لسان العرب،دار المعارف،القاهرة دط ،دت م2،ص973

[13]محمود عكاشة :تحليل الخطاب ،دار النشر للجامعات، القاهرة ،ط1 ،203 ،ص 11

[14]المرجع نفسه ص11

[15]ينظر المرجع نفسه ص 13-14

[16]مصطفى غلفان:اللسانيات البنيوية ،دار الكتاب الجديدة المتحدة ،بيروت ،ط1 ،2013 ،ص 179

[17]صلاح فضل:نظرية البنائية في النقد الأدبي،دار المعارف، القاهرة،ط1 ،1998،ص122

[18]عثمان أبو زنيد:نحو النص،عالم الكتب الحديث ،الأردن،ط1 ،2010 ص 13

[19]رزيق بوزغاية:كتاب التداوليات،دار نوران للنشر والتوزيع،تبسة الجزائر،ط1 ،2020 ص 16

[20]ربيعة برباق:شفرة على شفرة (مجموعة قصصية)،دار المثقف،ط1 ،2019 ،باتنة الجزائر ص 19

[21]صلاح فضل: نظرية البنائية في النقد الأدبي ص 271

[22]نور الدين السد:الأسلوبية وتحليل الخطاب،دار هومة الجزائر،ط1 ،2010 ص 16

[23]صلاح فضل:علم الأسلوب،القاهرة ،ط1 ،1998 ص 97

[24]سامية راجح:نظرية التحليل الأسلوبي للنص الشعري،مجلة الأثر،العدد 13 ،جامعة ورقلة مارس 2012 ،ص 228

[25]ابو القاسم الشابي:الديوان،دار الكتب العلمية،ط4،2005 ص 70

[26]يوسف أبو العدوس:الأسلوبية الرؤية والتطبيق،دار المسيرة للنشر والتوزيع ،عمان ط1 ،2007 ،ص 100

[27]المرجع نفسه ص 103

[28]سامية راجح:نظرية التحليل الأسلوبي للنص الشعري ص 229

[29]محمود كاشة :النظرية البراجماتية اللسانية ،مكتبة الآداب، القاهرة ،ط1 ،2013 ،ص 14

[30]فيليب بلانشييه:التداولية من أوستن إلى غوفمان ،تر ،صابر حباشة،دار الحوار،اللاذقية،سوريا ،ط1 ،2007 ص 19

[31]صحيح مسلم:أبو الحسن مسلم بن الحجاج ،تح محمد بن صالح العثميين،دار الإمام مالك البليدة ،الجزائر ج1 ،ص31-32

[32]اوستن:نظرية أفعال الكلام،دار إفريقيا الشرق،المغرب،ص 104

[33]هشام فروم: تجليات الحجاج في الخطاب النبوي دراسة في وسائل الإقناع ،رسالة ماجيستير، جامعة باتنة ،السنة الجامعية 2008-2009 ص 127